سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٢)

منهج السلف في حماية الفكر

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد المحسن بن عبد الله الزامل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



الشيخ لم يراجع التفريغ





للإعــلام بالأخطاء الطباعيــة والاستدراكـات
والاقتراحات يرجى المراسلة على البريد التالي:

shadharat42@gmail.com

shadharat42 shad_harat42

+213673511001



منهج السلف في حماية الفكر

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد المحسن بن عبد الله الزامل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

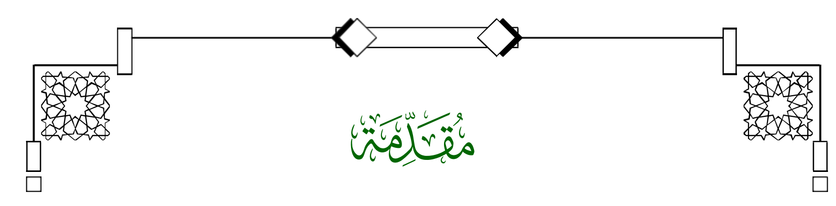
النسخة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمَّد، وعلى آله وأصحابهِ وأتباعهِ بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أمّا بعدُ:



مقدمة

فالحمد لله، والشكر له على مثل هذا اللّقاء، سائلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعيننا وإياكم على كل خير، كما أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعيننا جميعا على حسن القول والعمل، مستعينين بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنَّ مثل هذه المواضيع، من أهم المواضيع التي تُطرق، وخاصة في مثل هذه الأزمنة، ونعلم حال الأمة اليوم، وما يُكاد لها من أعدائها، وهذا الكيد منذ فجر النبوة إلى يومنا هذا.

وسوف أتحدث بما تيسر، وبما فتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حول هذا الموضوع، وقد تقدم المشايخ جزاهم الله خيرا في ذكر المنهج والطريق في الكتاب والسنة، وهذا خير عظيم، والسلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم على هذا الطريق، وعلى هذا المنهاج.

❑ سأتكلم بإذن الله في محاور:

● المحور الأول: حول عنوان هذه المحاضرة، وهو: «منهج السلف في حماية الفكر».

● المحور الثاني: إلماحة مقتضبة إلى كيد أعداء الإسلام منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا.

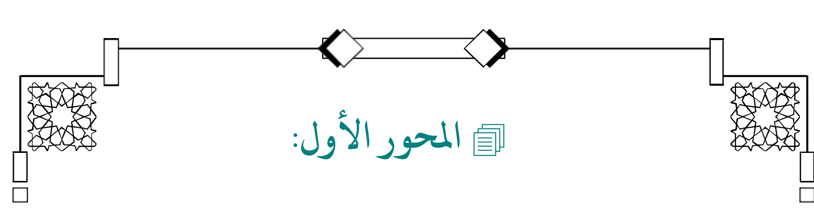
● المحور الثالث: ذكر نماذج وأمثلة من آثار منقولة عن السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في صيانة وحماية الفكر من الضلالات والشبهات.

● المحور الرابع: طريقة السلف رحمة الله عليهم في الحوار للمخالف، وأنه عندهم ليس مرتبة واحدة، بل يختلف بحسب الحال في الزمان، وبحسب حال المحاوَر.

● المحور الخامس: الأسباب المحصِّلة للأمن الفكري.

● المحور السادس: أسباب الخلل في الفكر بورود الشبهات والضلالات عليه.





المحور الأول:

ما يتعلق بعنوان المحاضرة، وهو عنوان مهم

وهو يطرق من جهة المعنى، ويتكلم فيه أهل العلم، وأهل النَّظر، وأهل الفكر، لكن الشأن في تقعيده أن يكون تقعيدا وتأصيلا مبنيا على ما فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه خلقه، وأنه فطرهم على التَّوحيد، وأن الشبه والضلالات وانحراف الفكر طارئ ووارد عليها، وهذا لا يؤخذ إلا من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فعنوان هذه المحاضرة أو هذا الدرس: «منهج السلف في حماية الفكر».

❍ **المنهج في اللغة**: هو الطريق الواسع، الفسيح، البيِّن الذي لا لبس فيه، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم وغيره: «سبيلا وسنة».

وثبت أيضا ذكر المنهج أو المنهاج أيضا في السنة، في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عند أحمد وأبي داود الطيالسي بإسناد صحيح، أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**»، والحديث

صحيح.

❁ **واختلف العلماء في الخلافة على منهاج النبوة التي في الأحاديث هل انقضت أو لا زالت؟**

على قولين لأهل العلم.

«**منهج السلف**».

❍ **الشق الآخر، أو الكلمة الأخرى من هذه المحاضرة، وهو: «السلف»**.

السلف من الشيء السَّالف وهو الماضي، وهو من مضى، والمعنى أننا نسير على طريقة السلف ونتبعها.

قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما في الصحيحين عن عائشة، في حديث طويل، وفيه أنه قال في آخره لما ذكر أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة، قال: «**وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي**».

وفيه أنه أسرَّ إلى فاطمة، أو قال لها: «**نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»؛ لأنه سبقها ومات قبلها عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال: «**نِعْمَ السَّلَفُ**»، فبكت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، فأخبرها أنها أول أهله لحوقا به، وفي رواية أخرى أيضا أنها سيدة نساء أهل الجنة، والروايتان لا تتنافيان، فيمكن اجتماعهما.

«السلف» كما في هذا هو المتَّبع ممن مضى، فعليك بطريقة من سلف.

❁ **ومن هم السلف؟**

السلف ذكرهم الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه، وذكرهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سنته.

● قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فذكر ثلاثة أصناف: المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم إلى يوم القيامة.

وهذا وصف عام للسلف، لمن تقدّم في الزمن، ولمن كان على طريقة السلف إلى يوم القيامة، «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

● وكذلك أيضا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ٨ – ١٠].

فذكر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ المهاجرين، ثم في الآيات التي بعدها الأنصار، ثم ذكر بعد ذلك من تبعهم ممّن سار على سبيلهم، ورأس التّابعين لهم هم القرن الثاني والقرن الثالث من التّابعين.

وهذا ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود، ومن حديث عمران بن حصين، وهو في صحيح مسلم من حديث عائشة، ومن حديث أبي هريرة، وفي أحاديث أخرى خارج الصحيحين، لكنه ثبت في الصحيحين من طرق

ومخارج كثيرة عن جمع الصحابة.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، متفق عليه.

وعند مسلم عنه: «وَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا»، **يعني**: هل ذكر قرنا ثالثا بعد قرنه، أو ذكر قرنين.

وكذلك في الصحيحين من حديث ابن مسعود: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وفي صحيح مسلم، عن عائشة: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

من حديث أبي هريرة كذلك في صحيح مسلم: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، ثم قال: «وَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا».

لكن ثبت ذكر الثالث من حديث ابن مسعود، وعمران بن حصين، وحديث عائشة، والأخبار في هذا كثيرة.

فهذه هي القرون الثلاثة، وهم السلف.

السَّالف من مضى ممن تتّبع طريقته، ويكون اتباعا بإحسان، -كما تقدم-

❁ وهل جاء في الأخبار ذكر القرن الرَّابع؟

جاء في رواية في ثبوتها نظر ذكر القرن الرابع، إنما ثبت هذا المعنى أيضا في صحيح مسلم، من حديث أبي سعيد الخدري لما قال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أصحاب رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**».

هذا في الصحيحين اقتصر على ذكر الثلاثة، وعند مسلم من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن أبي سعيد، ذكر: «**هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أصحاب النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، فذكر القرن الرابع، والمحفوظ في الصحيحين من دون ذكر القرن الرابع.

وهو الذي جاء في الصحيحين أيضا من رواية عمرو بن دينار عن جابر عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإن كان ثابتا فيجري مجرى ما تقدَّم، لكن الثابت في الأخبار أنه قرن الصحابة، ثم التابعون، ثم الذين يلونهم: تابعو التابعين.

❁ واختلف العلماء: متى انتهى حد القرون الثلاثة؟

◈ **فأقصى ما قيل**: أنه إلى مائتين وعشرين، وأن بعد ذلك أطلَّت البدع، وظهرت الفتن، وظهر الزنادقة.

◈ **وقيل**: إنه إلى سنة مائة وسبعين.

◈ **وقيل**: إلى مائة وثلاثين.

◈ **ومن أهل العلم من قال**: إن المعتبر في القرن هو جمهور أصحابه.

فعلى هذا: جمهور تابعي التَّابعين قبل ذلك، والشأن من كان على هذا

الطريق، وهو طريق السلف، وهم القرن الأول، والقرن الثاني، والقرن الثالث.

هذا هو تعريف السلف.

والسلف معناه: أهل السنة والجماعة.

ومعناه: الفرقة المنصورة.

ومعناه: الجماعة.

وكل ما جاء من الألفاظ التي تأتي في كلام العلماء من الدلالة على التَّمسك بالتَّوحيد؛ فإنهم هم السلف وأهل العلم.

فالمعنى واحد، والألفاظ اختلفت، ولذا ليس السلف حزبا يُنتسب إليه، بل السلف هم أهل الإسلام الذين يقومون به، ويقولون به، وينصرونه.

ولهذا من الأخطاء التي قد تقع، تُذكر الأحزاب فيقال: فلان كذا، وفلان كذا، وفلان سلفي، فيجعلون النِّسبة إلى السلفية كالنسبة إلى بعض الأحزاب الموجودة، وهذا لا شك قول متناقض.

إذا قيل: فلان المنتسب إلى الحزب الفلاني اسمه كذا، أو نسبته كذا، وفلان سلفي.

فالمعنى أنه إذا لم يكن سلفيا؛ فإنه ضد السلف، وضد طريقة السلف، **ولذا أنكر أهل العلم التَّحزب على هذا الوجه**، ولم يعرف من أهل العلم في القرون الثلاثة، ولا من كان له شأن وذكر بين أهل العلم أنه أنشأ حزبا، أو أظهر حزبا.

ولذا قيل: إذا كان ذكر المسمى لا على سبيل التَّعصب والتَّحزب؛ إنما من باب التسمّي بالشيء، وتنظيم العمل ونحو ذلك، على وجه لا تعصب فيه، فهذا لا بأس به.

أما إذا كان على سبيل التحزب والتعصب فإن هذا لا يجوز، ولذا قد يتسمّى بعض أهل العلم في بعض بلاد المسلمين بأسماء هي موافقة في المعنى لمسمّى السلف، كما يقال مثلا أنه من أنصار السنة، أو من أهل التَّوحيد ممّن يكون حقيقة المسمى مناسب وموافق لحقيقة هؤلاء الذين يعملون أو يقومون بما تسمّوا به.

مثلما تنظَّم بعض أمور الدعوة خاصة اليوم في بعض المسميات، ونحو ذلك، فإذا كان على وجه التَّرتيب والتَّنظيم فإنه لا بأس به، وهذا هو الذي أيضا أفتى به كثير من أهل العلم في هذه البلاد، والشأن هو التَّعصب الذي لا يجوز، **بمعنى**: أنه يخالف هدي السلف، وطريقة السلف، كما يوجد كثيرا من الأحزاب الموجودة بين الناس اليوم.

هذا ما يتعلق بكلمة «السلف»، منهج السلف فيه حماية.

الحماية هي الصيانة والوقاية.

والفكر هو ما يدور في الذهن من أمور، وتفكير، ويجول في الفكر، وفيه دلالة على أن الأصل في الفكر السلامة والفطرة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠].

فالمقصد هو حمايته وصيانته، وإلا فهو على التَّوحيد والعقيدة، كما في

الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**».

وفي حديث عياض بن حمار المجاشي في صحيح مسلم: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**».

المعنى: أنهم على التَّوحيد والإيمان، فالشرك والبدع والمنكرات طارئة.

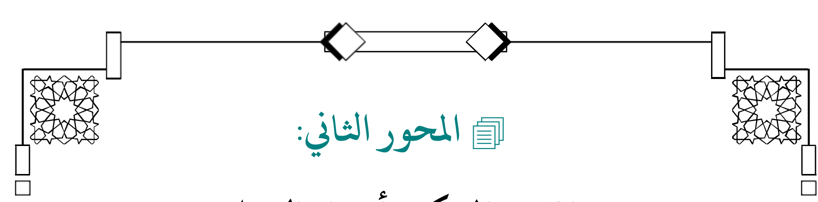
إذن: المعنى هو صيانته، فلو تُرك، ولم يتعرض للأهواء، ولم يتعرض لوافد الثقافات؛ فإنه ينشأ على التوحيد.

ولهذا قال العلماء: لو أن إنسانا نشأ في مكان ليس عنده أحد، ولا يرد عليه مؤثرات تصرفه عن فطرته؛ فإنه ينشأ على التوحيد، «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**»، ولهذا قال: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟**».

وقرأ في الرواية الأخرى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فطرهم على التوحيد والإيمان.





المحور الثاني:

إلماحة إلى كيد أعداء الإسلام
منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا

❍ وهذا أمر ظاهر في حرب الإسلام، بل إن أعداء الإسلام كادوا للإسلام قبل بعثة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين كابن سعد من اليهود حين علموا بعد ولادة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ورأوا عليه العلامات التي يعرفونها، حتى هموا قتله قبل بعثته وهو صغير؛ لأنهم عرفوا أنه نبي هذه الأمة، فأرادوا قتله على هذه الرواية، والله أعلم بصحتها.

الشأن أن كيد أعداء الإسلام منذ أول الأمر قبل البعثة، أما بعد البعثة فتوالى المكر من اليهود، والنَّصارى، والمجوس، هذا الثَّالوث الماكر الذي هو عينه الآن يمكر بالمسلمين، في بلاد الشام، وفي بلاد العراق، وفي غيرها من بلاد المسلمين اليوم.

والقصد منه هو حرب الإسلام، وحرب أهل الإسلام، وأهل هذه البلاد خاصة، هذه البلاد التي شرفها الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيها مهبط الوحي، مكة، وفيها مهاجر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المدينة، لكن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحوله وقوته، نسأله أن يردّ كيده في نحورهم، ولذا توجب على أهل الإسلام أخذ الحيطة والحذر من أعداء الإسلام؛ فإنهم يكيدون كيدا عظيما، -كما تقدم- منذ فجر الإسلام، وما بينهم من التَّحالفات الدَّنسة التي بعض الناس ربما

كان ينكرها، ثم ظهرت للعيان، وعلى رأس ذلك المجوس، وغلاة الرافضة، وما نرى منهم اليوم من حرب للإسلام.

ثم بعد بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حصل ما حصل له في مكة من الكفار من المشركين، أرادوا إطفاء النُّور، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٨ – ٩].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٢].

في آيتين من كتاب الله أرادوا إطفاء النور لكن يأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦].

ستكون عليهم حسرة، وهذه الآية كالتَّفسير -والله أعلم- أيضا للآيتين اللتين سبقتا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٩].

ولهذا فيما يظهر لي والله أعلم، ولا أدري هل ذكره أحد من العلم، في أنه ختم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هاتين الآيتين في قوله لما قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

وكذلك أيضا في آية التوبة قال ذلك: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة:

٣٢].

ثم في الآيات التي بعدها ذكر المشــركين في ختام الآيتين، وكأن المعنى والله أعلم أنهم يريد أن يطفئوا نور الله بقولهم فيما تقدم: ســاحر، كاهن، بمعنى: أن يطمسوا، وأن يلبِّسوا، وأن يخدعوا..

هـذا هو شــأنهم في التغرير والتلبيس، ليخدعوا غيرهم من صــبيانهم ونسائهم، وكذلك من يفد عليهم.

ولهذا من جاءهم يحذرونه، احذر منه، إنه كذا، إنه كذا.

ولهذا قال: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]، **والكفر** من الكَفْر وهو التغطية والســتر؛ فإنهم أرادوا أن يســتروا النور، وهيهات أن تغطَّى الشمس بمثل هذه الشبهات.

فلهذا قال: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]، إشــارة إلى أنهم يريدون أن يطمسوا الحق، وأن يطمسوا النور، وأن يخدعوا غيرهم.

والتي بعدها ذكر المشــركين في ختام الآيتين، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ذكر أيضــا أنهم ينفقون الأموال ليصــدوا عن ســبيل الله، فينفقونها في الحرب، وفي الدعايات، وفي التَّغرير، وفي التَّلبيس، مثلما يفعلون اليوم في مســميات ماكرة خادعة للإسـلام، ولأهل الإسـلام، ما يســمى بالأصـولية، والتَّطرف، ونحو ذلك.

يسـمون أهل الإسـلام، وكل من دعا إلى الإسـلام، يسـمونه بالمسـميات

التي ينفرون الناس عنها، وينفقون الأموال، لكن كما قال سبحانه: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، إما حسرة عارضة لمن رأى ظهور الإسلام، فيكون سببا في رجوعه ودخول الإسلام، كما دخل أناس كثير في الإسلام في فتح مكة حينما علا الإسلام وظهر، فصارت ذلتهم وانكسارهم سببا في دخول الإسلام.

وقد تكون حسرة دائمة متصلة بحسرة القبر وعذاب القبر، ثم النَّار لمن مات على الكفر والعياذ بالله.

فأعداء الإسلام، وأعداء الدين يجتهدون في الضلال والإضلال لحرب الإسلام، كما تقدم أنهم سعوا في ذلك منذ فجر النبوة.

ثم لما هاجر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، سعى اليهود في قتل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما في الصحيحين من حديث أنس في تلك المرأة التي سمَّت الذِّراع، وضعت فيه سما لكي تقتله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن الله حماه منه، وأخبره الذراع بذلك، وفي صحيح الباري عن أبي هريرة أنه جمع اليهود وسألهم: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ سُمًّا؟**».

وكذلك أيضا رواه البخاري معلقا مجزوما عن عائشة، وجاء في خبر رواه ابن إسحاق في «**السيرة**» أنهم أرادوا أن يطرحوا عليه الرَّحى، فنزل عليه جبرائيل فأخبره، فقام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم لم يزل مكر أعداء الإسلام من اليهود والنَّصارى والمجوس لأهل الإسلام، فمضى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن أقر الله عينه بظهور الدين، وفتح

مكة، وفُتحت ديار كثيرة، فمات قرير العين بما رأى من نصـــرة الدين، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ – ٣].

ثم بعده أبو بكر، فســار على ســيرته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فتح الله في عهده أمصارا كثيرة، وكسَّر كسرى وفتح بلادهم.

ثم كـان المكر العظيم، حيـث قتـل في محرابـه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قتلـه ذلـك المجوســي، أبو لؤلؤة فيروز المجوســي، والمكر الذي حصــل كما ثبت في الخبر الصــحيح عند الذُّهلي في «**الزُّهريات**»، وكذلك أيضــا رواه ابن ســعد، وقال الحافظ أنه أخرجه الكرابيسي في «**أدب القضاء**» بسند صحيح من رواية سعيد بن المسيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ورحمه، المسيب بن حزم بن وهب المخزومي التابعي الجليل، عن عبدالرحمن بن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنه قال: «مررت بأبي لؤلؤة وجُفينة النصراني والهرمزان».

أبو لؤلؤة: مجوســي، وجفينة: نصــراني، والهرمزان: أُســر في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وأظهر الإسلام والله أعلم في باطنه.

قال: «فلما مررت بهم ارتبكوا، فثاروا، فســقط من بين يديهم خنجر، نصله في وسطه، **النَّصل هو** المقبض، وله رأسان فرآه، فقتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ من الغد، فأمرهم أن ينظروا إلى ذاك الخنجر، فرأوه، فإذا هو نفس الخنجر الذي رآه عبد الرحمن بن أبي بكر.

وهذا لا شـك واضــح أنها كيد من هذا النَّصــراني جفينة، وكذلك من أبي

لؤلؤة المجوسي، وكذلك من الهرمزان، على ظاهر القصة، وإسنادها صحيح.

ثم لما سمع عبيدالله بن عمر القصة الواقعة من عبدالرحمن بن أبي بكر ذهب مباشرة فقتل الهرمزان، وأراد أن يقتل كل سبي في المدينة، فمنعه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأراد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القصاص منه، فقال عمرو بن العاص: «يا أمير المؤمنين، لقد وقع ما وقع منه، وليس لك على المسلمين سلطان»، فذهب دم الهرمزان هدرا.

وهذا كيد واضح في أول الإسلام، لكن هذا رفعة وتمام لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعلوم حقد المجوس على أهل الإسلام، وعلى عمر خاصة ليس لأنه عمر، لا؛ لأنه كسَّر كسرى.

ولهذا لو صنع هذا غيره، لفعلوا به أو كادوا له كما كادوا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم استمر الكيد لأهل الإسلام، والتاريخ شاهد بهذا، والقصد التذكير بشيء من ذلك، وما وقع في بغداد عام ست وخمسين وستمائة على يد التتار، على يد هولاكو، وكذلك ابن العلقمي الوزير الذي مكر بأهل الإسلام فقتلوا في أربعين يوما ألف ألف وثمانمائة ألف.

فغدا على سيف التتار الألف في ... مثل لها مضروبة بوزان

وكذا ثمان مئينهما في ألفها ... مضروبة بالعد والحسبان

كما يقول القيم في النونية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ألف ألف: مليون، وألف وثمانمائة بألف، **يعني**: ثمانمائة ألف، وهذا العدد ذكره جمع من أهل العلم.

وأقل ما قيل: إنهم قتلوا ألف ألف: مليون.

وهذا لا شك يبيِّن لك أن التَّاريخ يعيد نفسه، وما يقع اليوم من المكر الوثني الروسي، وكذلك ما يكون من أعداء الإسلام من النَّصارى والمجوس، التاريخ يعيد نفسه.

ومما يفعله أيضا أعداء الإسلام، لا أقول أعداء السنة، أعداء الإسلام، فهم يعادون كل شيء في الإسلام، ولو كان فيه شيء من الخلاف، ولو كان فيه شيء من النقص والقصور.

انظروا ماذا يفعل أعداء الإسلام المجوس في بلاد اليمن في هدم المساجد، وتفجير دور القرآن، ولعلكم رأيتم المساجد التي اتخذوها محلات للمزابل والنَّجاسات، ولا شك أن قتل المسلم أعظم، لكن ربما يقول قائل: إن قتلهم وقتال المسلمين، يجهل بعض الناس، يظن أنه لأمور سياسية ونحو ذلك.

لكن حينما يكون التَّفجير للمساجد، وجعلها مواضع للنَّجاسات، لا شك أن هذا أمر صادم لعموم الناس، ولعموم المسلمين، حتى مَن لم يكن عنده معرفة بمقاصدهم.

وبعضهم ربما يظن في الأصل أنهم عندهم شيء من الدين، لكن حينما يرى هذه الأعمال فإنها أخبار صادمة لعموم المسلمين.

أما من يعرف حقيقتهم فهو يعلم أن هذه الأمور لا يبالون بها، فهذا من فضل الله سبحانه، وإن كان يغيظ أهل الإسلام، لكن هذا يفضحهم، ويبيِّن أن عداوتهم للإسلام، وأهل الإسلام، فيدوسون القرآن، ويهينون القرآن.





المحور الثالث:

الإشارة إلى شيء من الآثار، والأخبار عن السلف رحمة الله عليهم في صيانة وحماية الفكر.

❍ **والمراد بالفكر هو العقل**، صيانته، وحمايته، ليس المعنى أن نقول إن المراد بذلك ما يعتقده المسلم.

لا، ما يعتقده المسلم لا يسمى فكرا.

إنما المراد حماية الفكر أي: حماية عقله، حمايته عن الشبهات، والمذاهب الوافدة على أهل الإسلام، والبدع والمنكرات، هذا هو المراد، حمايته، وسيأتي الإشارة أيضا إلى أسباب الحماية، وأسباب الانحراف.

لم يزل السلف رحمة الله عليهم أخذا من السنة في ذلك، وسمعتم الكثير من السنة في هذا الباب؛ إنما أشير إلى تأصيل في الباب، وهو ما جاء عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي وقائع كالمطر، منها:

أنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا بلغه عن بعض أصحابه شيء من الأمور التي ليست على هديه، أو أراد أن يفعلها بعضهم اجتهادا، بادر إلى تقويمها وبيانها.

كما في أخبار الثلاثة الذين قالوا: «أما أنا فأصوم أبدا، وآخر: أقوم الليل أبدا، وآخر: لا أتزوج النساء».

وفي رواية أخرى: «لا آكل اللحم».

فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

وبيّن لهم هديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقصة عبدالله بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بيّن له الهدي في الصيام وقراءة القرآن والقيام.

وكذلك أخبار كثيرة عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الباب، لما قال: «**اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ، حَتَّى تَمَلُّوا**»، إلى غير ذلك.

السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ساروا على هذا الهدي في حماية وصيانة الفكر عن المضلات والبدع والمنكرات، خشية أن تكون نافذة للأعداء؛ لأنه حينما تفتح النافذة يدخل معها، النَّافذة إذا فتحتها مع الباب يدخل معها الهواء الطلق الطيب، ويدخل معها الدخان المؤذي، ويدخل معها التُّراب، ويدخل معها المطر.

إذن: لكل وقت حال؛ فتارة قد تنفتح على الخارج، وتارة قد تغلق، إن كان هنالك المصلحة فتحت النَّافذة، فتحت الباب، وإن كان يترتب ضرر عليك، هذا إذا كان ضررا في البدن عليك، أو ضرر على دارك فإنك تغلقها، وإن كان هنالك مصالح تفوت، لكن سددتها لأجل ما يحصل من المفاسد.

فهكذا السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سدوا منافذ الشر، وطرق الشر، والسبل الموصلة إليه.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والقصص في هذا كثيرة.

ومما صح في ذلك، ما رواه الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجاء عند غير الدارمي، عند الإسماعيلي وغيره، في قصة صَبِيغ بن عِسْل، وكان كبيرا في عهد عمر، ولهذا ذكره الحافظ ابن حجر في «**الإصابة**» في المرتبة الثالثة، ممن كان كبيرا في عهد الصحابة، **يعني**: أنه عاصر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكن لم يثبت له رؤية له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

صَبِيغ بن عِسْل كان يتتبّع المتشابهات، ويسأل عنها: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذاريات: ١ – ٢]، فيسأل عنها، ويسأل عن المتشابهات، وعن غيرها، فدعاه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وفي رواية أنه بيّن له، ثم ضربه على رأسه حتى أدماه، ثم سجنه حتى برأ، ثم ضربه مرة أخرى، ثم قيل إنه ضربه الثالثة، والقصة صحيحة -كما تقدم-، ثم قال: «يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تقتلني فاقتلني، أما الذي في رأسي فقد ذهب».

يعني: هو اعترف أنه عنده شيء من الشُّبهات، ولم يكن هنالك قصد واضح لطلب العلم، فاعترف أنه عنده شيء من الأمور المشتبهة التي هو في غنى عنها.

ولهذا كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وإن كانت هذه المسألة في بادئ ذي بدء، سؤال عن بعض ما يشكل عليه؛ إنما عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أراد أن يسد الباب خشية أن يكون مفتاحا لما بعدها، فأراد

أن يســد الباب لأجل ألا يفتحه لغيره، وهذا الباب قد تقبل عليه النفوس، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها.

عمر رضي الله عنه ضـربه بالدِّرة، ثم بعد ذلك تاب وحسـنت توبته، على هذه الرواية.

وفيه دلالة على أن من يتتبّع المشـتبهات، ويسـأل عنها في وقت يكون الناس قد أقبلوا على العلم والقرآن، وهو شـاذ في هذا الرأي؛ فإنه يعامل بالحزم، ويعامل بالدِّرة لا بالدُّرة، يعامل بالدِّرة، والدِّرة هي العصـا، وأن هذا هو الطريق لدفع شره وأذاه.

لكن إذا لم يمكن دفع هذه الفتنة وهذا الشـر بالدِّرة فإنه يسـلك في طريق آخر، وسبيل آخر.

ولهذا بعد ذلك في عهد عثمان رضي الله عنه، قبل سـنة اثنتين وثلاثين كما روى الدارمي بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: إنه مر بمسـجد، وفيه قوم، حلق، ويقول قائل: سـبِّحوا الله مائة، ومعهم حصـى يسـبحِّون، يقول: هلِّلوا الله، احمدوا الله، يقول لهم القائل، مائة مائة، ورآهم حلقا متفرقين، فاسـتنكر، فجاء إلى ابن مسـعود، وكان أصـحابه ينتظرونه، فقال أبو موسى: هل خرج عليكم عبدالرحمن؟

قالوا: نحن ننتظره.

وكانوا لإجلاله لا يطرقون عليه الباب، ينتظرون حتى يخرج، فانتظر

معهم، وكان أبو موسى يجلّ ابن مسعود، بل يقول، كما في البخاري: «لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم».

الحِبر والحَبر هو العالم الكبير.

فجاء إلى ابن مسعود، فقال: يا أبا عبدالرحمن، قد رأيت قوما في المسجد، أو بين دارك والسوق، أو نحو ذلك، ولم أر إلا خيرا.

قال: ماذا رأيت؟

قال: رأيت قوما كيت وكيت.

قال: هلا قلت لهم يعدوا سيئاتهم، فأنا ضامن أنه لا يفوت من حسناتهم شيء.

قال: انتظرت أمرك.

فلبس ابن مسعود رداءه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم وقف عليهم، فقال لهم: عدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن لكم ألا يفوت من حسناتكم شيئا.

قالوا: يا أبا عبدالرحمن؛ إنما أردنا الخير.

قال: كم من مريد للخير لم يصبه؟

ثم قال: إنكم لأهدى من أصحاب محمد، أو مفتتحو باب ضلالة؟

وفي لفظ قيل إنه قال: إنكم أتيتم ببدعة ظلماء، أو قد سبقتم أصحاب محمد علما؟!

قال الراوي: فلقد رأيت بعض أولئك القوم يطاعنوننا يوم النهروان، **يعني**: مع الخوارج.

افتتحوا باب ضلالة.

ثم قال لهم: هؤلاء أصحاب محمد متوافرون، وهذه آنيته لم تُكسر، وهذه ثيابه لم تبل، **يعني**: العهد قريب، ومع ذلك تفعلون ما تفعلون؟!

فشدد عليهم في الأدب بالقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتفرقوا، لكن حصل منهم بعد ذلك ما حصل.

وفي عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عبدالله بن كوَّى، واختلف، وهو من الخوارج، وقيل إنه تاب ورجع وكان مع علي، وكان يسأل عن المتشابهات، وكان يلح على علي ويثقل عليه، وكان علي قد [..] الناس عليه، وحصل خلاف في زمنه، فلم يكن له كما كان لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهذا لم يكن منه إلا أن يجيبه على ما يسأله.

وهذا يُبيِّن أن السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتعاملون مع من كان على ضلالة بحسب الحال، لكن يبيِّنون البيان الواضح الذي لا لبس فيه، ثم بعد ذلك وقع ما وقع في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام سبع وثلاثين، في وقعة صفين، ثم بعد ذلك ما حصل من قتل الخوارج.

قبل ذلك قال ابن عباس لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما اجتمعوا في حروراء بظاهر الكوفة، وكانوا ستة آلاف، كما رواه النسائي في «**الكبرى**»، من رواية عكرمة بن عمار عن سِماك بن الوليد الحنفي، ورواه عن ابن عباس، وهذا إسناده صحيح، وكذلك رواه الحاكم بقصة مطولة، وكذلك أيضا رواه عبدالرزاق، ورواها الإمام أحمد مختصرة، وهي عند النسائي والحاكم وعبدالرزاق

بسياق مطوَّل قريب بعضه من بعض، وفيه أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال بعد وقعة صفين، لما خرجوا، عليه لما حصل أن رفع أهل الشام المصاحف، ودعوا إلى الصلح، وأبوا، فكانوا بظاهر الكوفة، واجتمعوا وأعدوا العدة، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ استأنى في أمرهم، وعلم أن لهم كيد.

وقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين ائذن لي أن آتي القوم.

وهذا يجمع، هذه القصص بعضها تجمع المحور الثالث والرابع في طريق النقاش والحوار كما سيأتي إن شاء الله.

فجاءهم وقد لبس حلة جميلة حسنة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، تزيّن بتلك الحلة، فلما رأوه قالوا: ما عندك يا ابن عباس؟ ما هذه الحلة؟ استنكروا.

وقد رآهم وجباههم قد تقرّحت من السجود، وركبهم كركب الإبل من الشدة من كثرة السجود، وجوههم مسهمة من شدة السهر في العبادة.

ثم قال: قد رأيت رسول الله وسلم يلبس أحسن ما يكون من الحلل.

والحُلَّة سميت حلّة؛ لأنها تحل البدن، **أي**: تكسوه، وتكون من إزار ورداء أو نحو ذلك، إذا كان على الإنسان ثوبان يستر أحدهما أسفله، والآخر يستره كله أو نحو ذلك.

ثم قال: ماذا تنقمون على أمير المؤمنين؟

قالوا إنه حكَّم الرجال في كتاب الله.

حكّم الرجال في أمر الله، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

قال: هذه واحدة.

ثم ماذا؟

قالوا إنه قاتل ولم يسب؛ فإن كانوا كفارا حل سبيه، وإن كانوا مؤمنين لم يجز سبيهم، لم يجز قتالهم، فكيف يقاتلهم ولا يسبيهم؟!

ثم قال: وما الثالثة؟

قالوا إنه محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال:

أما الأولى؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد حكَّم الرجال في ربع درهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [المائدة: ٩٥]، يحكم به اثنان.

فحكَّم الرجال في الثَّمن هذا، المثل، أفتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين خير أو في ربع درهم؟

قالوا: في هذا.

قال: خرجتم من هذه؟

قالوا: خرجنا.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا

﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥].

فحكّم الرجال للإصـــلاح بين الرجل وزوجه، أفي التَّحكيم في حماية وصيانة أنفسهم خير أم في الإصلاح بينه وبين زوجه؟

فأقروا أو أقر له جماعة منهم أن هذا خير.

✍ **أما قولكم إنه محا نفســـه من أمير المؤمنين؛** فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قد بلغكم، لأن قصـــة الحديبية قد اشـــتهرت وبلغتهم، قد قال لعلي لما قال: هذا ما [..] عليه محمد رســـول الله، قالوا: لو نعلم أنك رســـول الله ما قاتلناك.

فقال: اكتب من محمد بن عبد الله.

فمحاها، ولم يكن محوه اسمه، يمحوه من النبوة.

أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

✍ **وذكر لهم أيضا قبل ذلك لما قالوا** إنه قاتَل ولم يسب.

قال: أفتسبون لأن قتال الجمل من قاتل عائشة ومن معها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أفتسبون أمكم؟

أفتسبون عائشة؟

إن اســـتحللتم منها ما اســـتحللتم من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليســـت أمنا فقد كفرتم، فأي الطريقتين كنتم فإنكم على ضلالة.

أخرجتم منها؟

قالوا: نعم.

فرجع ألفان، وبقي أربعة آلاف، فقتلهم المهاجرون والأنصار، فلم يقتل من جيش علي عشرة، ولم ينج منهم عشرة.

فهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم لم يزل السلف رحمة الله عليهم على هذه الطريقة في حماية وصيانة الفكر عن المدنِّسات والشبه والضلالات، ووقع ذلك في عصور كثيرة، في عصر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقبل كذلك في عصر عمر بن عبدالعزيز مع غيلان القدري، غيلان بن مروان القدري لما قال بالقدر، فدعاه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عبد العزيز.

فقال: يا أمير المؤمنين، يُكذب عليَّ.

أنكر.

فأجراه على ظاهره.

ثم قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اللهم إن كان عبدك صادقا فتب عليه، وإن كان كاذبا فاقتله، أو كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم سكن في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم [..]، فلما كان بعد ذلك، ثم جاء عهد هشام بن عبد الملك أظهر الدعوة إلى مذهبه الباطل في عهد هشام بن عبد الملك، فدعاه فقال: هل تقرأ القرآن؟

قال: نعم.

قال: هل تقرأ الفاتحة.

قال: نعم.

قال تقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

قال: نعم.

قال: بأي شيء تستعين؟ هل تستعين الله أنت؟ بأي شيء تستعين الله؟ هل تستعين على أمر في يدك أو في يده؟

المعنى أنك لا تستعين الله، والمعنى أن القدري كيف يقرأ القرآن؟ كيف يستعين الله؟

لأنه يرى أن الله لا يعلم إلا بعد ذلك، غلاة القدرية، **ولذلك قال:** «خاصموهم بالعلم فإن أقرّوا به خُصموا وإن جحدوه كفروا».

فأمر به وقُتل شر قتلة.

وقيل إنه قطع يديه ورجليه، ثم قطع رأسه، وقال غيلان قبل ذلك: «قد أدركتني دعوة الرجل الصالح»، **يعني:** عمر بن عبدالعزيز.

فكان شرا على أهل الإسلام، وضلال على أهل الإسلام.

وجعد ابن درهم على ما اشتهر أيضا أنه صان خالد عبد الله القسري أهل الإسلام من شره بقتله، كما قال القيم عنه:

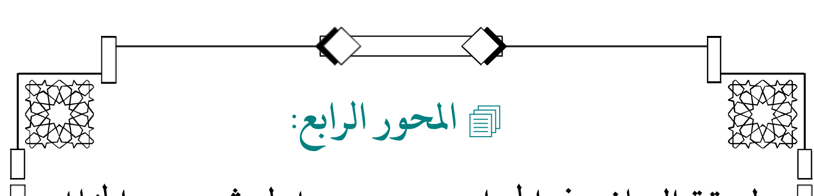
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ـقسري يوم ذبائح القربان

[..] عن الله عَزَّوَجَلَّ، حتى مات هو قرير العين، وأصحابه بعده، وأنتم تقولون إنه كاذب.

هذا فيه أعظم الطعن في عدله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إذا كان على ما وصفتم.

قال: الأمر كما ذكرت، لكن انظر لنا حديثا غير هذا الحديث، ولم يحر جوابا معه.





المحور الرابع:

طريقة السلف في الحوار مع من حصل له شيء من الخلل في فكره بحسب درجة بدعته وضلاله

❍ ولا شك أنَّهم متفاوتون تفاوتا عظيما، والبدع والضلالات رأسها الكفر، وأدناها أدنى خلل، وأدنى انحراف، فإذا كان هذا الخلل أو الانحراف انحرافا جزئيا، أو خللا جزئيا في جزئية ولم يكن أمرا راتبا، فهذا يقع لكثير من أهل العلم.

أما البدع الكبار، وكذلك الجزئيات الكثيرة التي هي فرع عن البدع، -فرع عن بدع الكبار-؛ فإنه لا يسلكها إلا من في قلبه دغل.

أما إذا لم يكن قانونا، ولا طريقا مستقرا في نفس هذا، فقد يقع لبعض السلف ممن يخفى عليه شيء من السنة، شيء من العلم، أن ينكر شيئا، أن يتأول تأويلا، هذا وقع، رُوي عن مجاهد، ورُوي عن شريح في أخبار معروفة في مسائل أجمع عليها السلف، لكن لم يكن طريقا ولا قانونا له في النصوص، إنما لأمر خفي عليه، وهذا واقع.

ولهذا -كما تقدم- ينبغي العدل في المعاملة لمن وقع في مثل هذا، وخاصة في مثل هذه الأيام التي نحن في ضرورة إلى معرفة هدي السلف في الحوار والنِّقاش مع من يقع في بعض الخلل في الفكر والتَّصور، وما يقع في نفسه مما يفهمه، وسببه -كما سيأتي- قصور في العلم، وجهل بأصول الدين.

تقدَّم أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلك ذاك المسلك ولم يحاوره؛ لأن مثل هذا، هذا علاجه، وإماتة الأقوال الباطلة مطلوب، ولو فُتح ربما باب الحوار معه ولم يكن شيء موجود من هذا، قد يدعو غيره أن يسلك هذا المسلك فيأتي إلى عمر، ويأتي إلى غير عمر، ثم يدخل فيه من لا يعرف، فيكثر، فسد الباب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا شك أنه الملهم، ولا حاجة إلى مثل هذا، وخاصة أنه جاء ممن لم يعرف عند عمر بالعلم، ولم يعلم قصده، فعلم أنه لم يكن قصده العلم ولا الفائدة، إنما لشُبه، وإلا فالعلم الواضح كثير.

ولهذا قال: قد ذهب الذي في نفسي، اعترف بذلك.

كذلك أيضا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاءهم ولبس حلّة، وفيه اعتبار من تخالفه، إياك أن تحتقره، إياك ألا تجعل لشبهته في نفسك وزنا، لا، هذه الشبهة تكون عنده محل وزن، ومحل اعتبار، فلهذا لم يقل أبو موسى: ائت بهم، أدِّبهم، أو ما أشبه ذلك.

وكان ابن مسعود له ولاية في الكوفة في ذلك الوقت، له حق التَّأديب، ومع ذلك ذهب إليهم وقصدهم، ولبس حلة، ووقف عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ذكر لهم بالدَّليل أن مثل هذا بدعة، ولا أصل له، وهذا ليس كمسألة التسبيح بالحصى على سبيل العد، هذه مسألة أخرى ليس هذا..

يعني: هذه مسألة أخرى؛ لأنهم جلسوا على هيئة جماعية، واحد يقول: سبِّحوا كذا، هلِّلوا كذا، هذا لا شك طريقة مبتدعة.

أما مسألة التَّسبيح بالحصى أو بالسبحة التي لا تكون على طريقة أهل

البدع أو نحو ذلك، هذه لها بحث آخر، والخلاف فيها معروف؛ إنما ما كان على هذه الطريقة.

فذهب إليهم، وبيَّن لهم بالدليل، وأنه ليس من هديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

ولهذا قالوا: إنما أردنا الخير، فبيّن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن الخير والهدى ما كان على طريقه وهديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا لا شك أمر مهم حينما تحاور من يقع في مثل هذا، ويكون قصده الخير، لكن لم يصب طريق الخير.

ثم أيضا بعد ذلك، تقدّم معنا قصة ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حينما حاورهم، ماذا صنع؟

لبس حلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعلم أنهم متشددون، فأظهر أن هذا ليس من ذلك، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ثم قال لهم: ماذا تقولون؟

لم يبدأهم ويبكِّتهم ويقول أنتم ضلَّال، وأنتم، وأنتم..

لا، قال: ماذا عندكم؟

ثم أيضا استوفى شبههم كلها، قال: هل عندكم غيرها؟

قالوا: لا.

إذن: مهم مع من تحاوره هو كما يقال: ضبط الأمر وضبط الموضوع حتى لا يضيع حال النِّقاش، فيضبط الأمر، وحتى يُعلم الصادق من الكاذب.

حينما يورد الشبه واحدة واحدة، وأنت تسمع إليه وتصغي إليه، ولهذا تلقي إليه بسمعك وعينك؛ لأنه كما أن السمع في الأذن، كذلك أيضا السمع في العين، كما يقوله بعض أهل العلم، حينما تسمع وأنت ملتفت فكأنك لا تسمع، بل اسمع بأذنك، وألق النظر إليه حتى يدرك أنك مقبل عليه، مهتم به، تسمع ما يقول.

لكن حينما تنتظره متى يسكت، وربما تقاطعه، وربما تسكِّته، وربما تقول هذه شبهة باطلة، هذا لا ينفع في الحوار، بل يشتِّته، بل لا يجعله يقتنع، وإن كنت أنت غير مقتنع بها، لكن هو مقتنع، هو خالي الوفاض، ربما يكون مشبها عليه، ربما يكون جاهلا ليس عنده علم، وهو يريد الخير، لكن وقع فيما وقع.

فاستوف ما عنده، ولا تحقر شبهته، كما ذكر أهل العلم أنهم قالوا؛ فإن ذكروا شبهة كشفها، يكشفها البصير العالم بها، الذي يعرف كيف يكشفها.

فأخذ الشبه كلها حتى استوفاها، ثم أجاب بجواب واضح، وهذا من المهم هو أن يكون الكلام واضحا، كما هو السنة أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان إذا تكلّم بكلام، تكلّم بكلام فصل، لو شاء العاد أن يعده لأحصاه، حتى يفهمه المتلقي، ثم أنت حينما تتكلم لا تملي عليه، لا، تذكر له الطريق والسنة بذلك، والدَّليل من الكتاب والسنة.

الكتاب يقول كذا، الدليل يقول كذا، دليل بيّن ليس مجرد إلزام، لا، لا يلزمك، بل هو الدليل البيِّن.

كما ساق ابن عباس الآية واضحة.

خاصمهم بالقرآن، ومن خاصم به فلج، واقمع به كل معاند، فهذا هو الواجب، **بمعنى**: أن تكون بالحجة.

ولهذا العساكر قد تهزم، قد تهزم العساكر القوية من العساكر الضعيفة بالمكر، بالكيد، بالحيلة. أما الحجج الصحيحة لا تهزم، الحجة الصحيحة لا تهزم.

ولذا في ديننا دائما يبدأ بالحجة، بالحوار، ادعهم إلى كذا، ادعهم إلى.. قبل القتال.

هذا إذا كان لغير أهل الإسلام يدعون إلى الحوار، يدعون ويقال لهم كذا، افعلوا كذا، فأهل الإسلام ممن هم في دائرة الإسلام من باب أولى، وخاصة ممن وقعت عليهم بعض الشبه والضلالات، واغتروا بها، وخُدعوا بها.

فالواجب الرفق بهم، فنزِّل نفسك مع كونك تبيِّن لهم على علم وبصيرة، فكذلك أنت طبيب تعالج، فعليك أن ترفق بهم، وإياك أن تُطِبَّ زُكاما فتحدث جذاما.

عليك بالرفق!

فلهذا أجابهم بالجواب البيِّن الواضح الذي لا بأس فيه، مع استيفاء الحجج حجة حجة، ولا شك أن قول ابن عباس، وحواره معهم فيه فوائد كثيرة لمن تأمله، ونظر فيه بعين البصيرة من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الحبر، حبر

القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي دعا له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولهذا رجعوا بكلام يسير سهل بيِّن.

ثم لم يزل أهل الإسلام على هذه الطريقة في حوارهم ونقاشهم لكل إنسان.

ولذا نقول: الأخذ بالرفق واللِّين، وهذا ما نوصي به أنفسنا، وكل من يناقش ويحاور من وقع في شيء من هذه الضلالات والانحرافات الواقعة اليوم من كثير من شبابنا ممن ابتلي بأناس مضلِّلين، وممن انخدع بأناس ظنهم من أهل العلم، ويقولون: قال الله، قال الله، والقرآن حجة عليهم وعلى أقوالهم.

ولهذا لا يأتي مبطل بحجة من القرآن إلا وكان في حجته التي يذكرها ما يبطلها، وأنها حجة عليه ليست حجة له، فهذا هو الواجب، هو الرفق والطمأنينة في نقاشهم، وخاصة أن كثيرا ممن يقع في مثل هذه شباب غض طري، لم تأخذ الشبهة منه كل مأخذ، بل تأثّر بمقولة أو كلمة ونحو ذلك.

أما من وقع منه جرائم واعتداءات ونحو ذلك، وتعد على الحرمات، تعد الأنفس.. هذا له حكمه الذي يحكم به على أمثاله، لكن من غُرِّر به، ووقع في مثل هذه الأخطاء، فمثل هذا يؤخذ بالرفق واللين معه ومع ذويه، وفي الغالب أنه يرجع ولا يحتاج إلى شيء، وهذا واقع من كثير ممن يحاورون، ممن يقع عنده بعض اللَّبس، فقد يصادف بعضنا أحدا منهم، فبكلمة يسيرة يرجع مباشرة، ويكون عضوا صالحا، بل أدنى كلمة.

وأذكر مرة منذ سنوات أن أحد الشباب جاء إليّ وكنت خرجت من أحد الدروس، وكان معنا بعض الإخوة، وكان متحمّسا يريد أن يذهب مع بعض هذه الجماعات التي تُقاتل، وبعضها ليس واضحا، وفيه من الفتن، ثم أيضا نعلم أن كثير منهم يقول: لسنا بحاجة إلى الرجال، لو فرض أنهم على طريق صحيح، فكيف إذا كان على طريقة فيها لبس وغموض؟ وربما يحصل فيه استحلال لدماء بعضهم بعضا.

فقلت له: هل أنت متزوج؟

قال: لا، عاقد ولم أدخل.

قلت: في الحديث في الصحيحين أن نبيا من الأنبياء قال لقومه، وأراد أن يغزو قوما: «**لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا**».

قال: هذا حديث؟

قلت: نعم.

قال: السلام عليكم.

وذهب.

والمعنى أنه اقتنع بأنه لا يدخل في هذا.

فالقصد من هذا أنه ربما يكون عنده، أنا جعلته كمقدمة للحديث معه، لكن مباشرة..

فلهذا كثير منهم يرجع مباشرة.

وآخر أيضا بنحو من هذا، جاء وكنت في بعض مناطق عندي دورة علمية، فقال: هل تعرفني؟

قلت: كأني أذكر هيئتك، لكن لا أتحقق.

قال: تذكر سنة كذا؟

يعني: منذ سنوات اجتمعت بأناس ممن عندهم شيء من هذه الأفكار، فمنَّ الله على بعضهم حتى جاءوا من الغد فتراجعوا عما هم عليه.

ثم قال: -هذا لا أدري بعد سنتين أو ثلاث سنوات- قال: أبشرك بحمد الله أن الله منّ علي، والآن أحضر حلق العلم، وأنا انتقلت من المنطقة التي أنا فيها، والآن إمام مسجد وذكر منطقة من المناطق.

قلت: الحمد لله.

فالقصد من هذا أن هؤلاء الشباب في الغالب قناعتهم قريبة ويسيرة، يريد أن تورد له الإيراد البيِّن الواضح، لا تملي عليه.

بعض الناس يريد أن يملي، **يعني:** اسمع ما أقول، ولا تناقش، ولا تحاول، لا، هذا لا يمكن، هذا لا يمكن.

القوة متى تكون؟

القوة بشرطين:

- إذا كان المحاور معاندا وله فكر ضال يُخشى من شره، وأصرَّ على ما هو عليه.

- ولك قدرة عليه.

إذا فقد هذان الشرطان، فلا.

إذا لم يكن هنالك قدرة عليه، فقد يحصل شر وفساد.

ولهذا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فعل ما فعل مع صبيغ، علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يؤدِّب ابن الكوى، وابن مسعود أيضا كذلك، عمل معهم ما عمل، وهذا هو الطريق الأفيح الواسع في النقاش والأخذ.

أيضا هناك طرق أخرى، ربما بعض الضلالات أحيانا تحلّ حالا بالقوة حينما يكون [..].

ويذكر على سبيل الطرفة مثلا أن بعض القدرية اجتمع مع رجلين مفتولين من أهل السنة قويين، فأراد أن يغيظهما، أخذ تمرة، فقال: هذه التمرة إن شئت أكلتها، وإن شئت لم آكل.

يعني: أنا الذي أفعل، وأنا منفرد.

فقاما إليه وهو يريد أن يدخلها، ففغر فاه بالقوة وأدخلها في فمه يريد أن يأكلها، فقاما إليه، فأمسكا عليه ففغراه بالقوة، فأخرجاها من فيه.

ثم قالوا: يا خبيث، أردت أن تأكلها، وأراد الله ألا تأكلها.

ثم رموا بها.

فهذا ربما يكون مع أمثال هذا.

وكذلك ربما يحاور أيضا المضل وإن كان عالما في بدعته، قد يحاوَر، قد يحاوره رجل ليس من أهل العلم، رجل أو امرأة، لما فطر عليه من خلاف هذه البدعة والضلالة؛ لأن بعض البدع بلغت درجة في الانحراف ما تنكره

الفطر، كما في الحديث الذي رواه مسلم في مقدمته، «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**».

كذلك أمثال هؤلاء، يتكلمون بكلام تنفر منه الطباع، ويذكر أن عمرو بن عبيد وهو رأس القدرية النُّفاة، أنه وهو يتظاهر بالعبادة، ذكروا أنه عابد، فجاء رجل أعرابي قد ضلّت ناقته، وتوسّم فيه، رآه مكثر للعبادة.

فقال: أريد أن تدعو الله أن يرد لي ناقتي، أدع الله، فقال: اللهم إن عبدك الفقير سُرقت ناقته، ولم ترِد أن تُسرق، اللهم فردها إليه.

قال: الآن يئست من راحلتي.

يقول العامي.

قال: كيف؟

قال: إذا كان أراد ألا تُسرق فسُرقت، فأخشى أن يريد أن يردّها فلا ترد.

فكأنما ألقمه حجرا.

إذن: هذه بدع وضلالات ظاهرة البطلان، تنفر منها العقول والقلوب، وهذا كثير.

وربما يناقش المبطل بأمور، وقد لا يكون للمناقش حجة مفصِّلة، لكن عنده حجة عامة.

فكان بعض السلف يسلك هذا المسلك، مثل ما سلكه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع ذاك اليهودي، وقال: إنه يلزم من قولكم..

لكن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع الأمرين، لكن ربما يستخدمها من لم يكن

عنده حجة مفصِّلة، أو أراد أن يستخدم الحجة العامة دون المفصِّلة أحيانا.

مثل: ما ذُكر عن أبي علي بن شاذان، وهو شافعي، أحمد بن الحسن بن إبراهيم البغدادي، وهو مسند العراق، وأصولي كما يقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من علماء القرن الرَّابع وأوائل القرن الخامس، توفي سنة ست وعشرين وأربعمائة، عرض له رافضي فقال: إن الحديث: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»، أن النبي يورث.

قال: كيف؟

قال: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**».

قال: لا.

إن «صدقة»: حال، وليست خبرا.

يعني: «**مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً**».

فلم يجعلها خبرا لما الموصولة.

فقال له: أنا لا أعرف المرفوع من المنصوب من المخفوض، لكن أعرف أن هذا الحديث احتج به أبو بكر على علي والعباس وفاطمة، فأقروه على ما فهم منه.

فلو كان ما ذكرته صحيحا لم يقروه.

والمعنى: أن قولك باطل.

وإن كانت هذه القصة الله أعلم بثبوتها فأنا لم أرها في «**سير أعلام النبلاء**»، **وأيضا كذلك** الصَّفدي في الغالب أنه يستعرض مثل هذه، وقد راجعت

التَّرجمة فيها فلم يذكر في هذه، لكن الشـــأن -كما تقدّم- أن الطريقة عند السـلف رحمة الله عليهم تختلف في الحوار والنِّقاش للمبطل، مثلما تقدّم في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثل السلم والحرب.

تارة أهل الإسـلام، يكون السـلم أفضـل، وتارة الحرب، وتارة يعاهدون. وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تارة تنكر المنكر، تغيِّره، وتارة تسكت، وتارة تهجر من وقع في المنكر، وتارة تصله ولا تهجره وإن كان على المنكر، فيكون سكوتك هو الإنكار.

وسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا ظاهرة وبيِّنة.

كذلك أيضـــا في باب الحوار والنقاش هو على هذا الطريق، وهو الهدي المســتقيم، والطريق الأفيح الذي به ينجح كل نقاش وحوار، وهذا يجري اليوم، خاصــة كما ســيأتينا إن شــاء الله على هذا الباب من الانفتاح، انفتاح الثقافات على أهل الإسلام.





المحور الخامس

أسباب سلامة الفكر من الانحراف

❍ وهذا زبدة ما تقدم، أسباب سلامة الفكر من الانحراف.

ولا شـك أن من كان على طريقة السـلف، وهدي الكتاب والسـنة فإنه يسلم من الانحراف.

❁ أعظم أسباب السلامة من انحراف الفكر، والضَّلال في المعتقد، هو التوحيد.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

التَّمسـك بالتَّوحيد، التمسـك بالإيمان، بأصـول الإيمان، هو سـبب السـلامة والأمن، بل جميع أنواع الأمن، ليس الأمن الفكري، الأمن الاقتصادي، الأمن الاجتماعي، الأمن الأسري، الأمن السياسي، جميع أنواع الأمن مأخوذة من الإيمان.

ومن الشعارات التي وضعها بعض أهل العلم في سبيل الدعوة: «أمننا في إيماننا».

ولا شـك أن أمننا في إيماننا، جميع أنواع الأمن تكون في الإيمان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾.

بماذا؟ ما هو الشرط؟

﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥].

هذا هو الشرط.

العبادة وعدم الشرك يحصل بها التمكين والنصر والظهور.

وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

وقال نوح لقومه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥﴾ [المائدة: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾ [المائدة: ٦٦].

إذا كان هذا لأهل التوراة، وأهل الإنجيل، فأهل الإسلام أولى، ولهذا قال: ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾ [المائدة: ٦٦]، ذكر أعلى درجات وصفات أهل التوحيد وهو الاقتصاد، وهي وسط، وهي الدرجة الوسطى لأهل

الإسلام، إذ أعلاهم السابقون، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات.

فأعلى الدرجات لأهل التَّوراة والانجيل هي ما أثنى الله بها عليهم إذا كانوا قد أقاموا التوراة والإنجيل.

فأهل الإسلام أولى بذلك، فالتَّوحيد هو أصل الأصول في حصول الأمن والإيمان، وهذا أمر مشاهد، كلما كان الناس مقيمين للتوحيد، فإنه يسد منافذ الضلالات والبدع، إذ لا صيانة ولا حماية للأمة إلا بالتوحيد.

بالتَّوحيد يحصل الاجتماع والتآلف على كلمة التوحيد، وتسد كل أبواب الضلالات، ولا يستطيع العدو الدخول لأنها أمة محصَّنة، حُصِّنت بالتوحيد، وفروع التوحيد بعد ذلك مما جاء في الكتاب والسنة: التوحيد.

التَّوحيد: هو حفظ الدين، وحفظ الدين هو أصل الضروريات، وأعظم الضروريات، فبه يحصل سائر الحفظ لسائر الضروريات: حفظ الأنفس، حفظ الأموال، حفظ العقول، حفظ الأعراض، كلها من الضروريات، أصلها وأسّها هو حفظ الدين.

ولهذا جاء الدين صارما في هذا الباب، «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»: حفظ، وذلك أن هذا أمر عظيم، لأن رأس مال المسلمين هو الإسلام، هو رأس مالنا.

رأس مال الإسلام هو المسلمون، ولهذا يجتهد أهل الإسلام في حفظ الإسلام من الداخل، حتى لا يدخل الداخل عليه، وما زاد بعد ذلك فهو

ربح.

كما يقول ابن هُبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن قتل الخوارج**: «وأن قتل الخوارج كما قال جمع من أهل العلم أنه أولى من قتل المشركين»، ولهذا بدأ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بذلك لما أصرّوا، وفعلوا ما فعلوا، حينما فعلوا مع عبد الله بن خباب، قتلوا وبقروا بطن أم ولده، وصنعوا ما صنعوا، عند ذلك استباحوا النفوس والدماء والأموال، فلم يكن بد من قطع دابرهم.

فلذا بدأ بهم على ما جاء في النصوص الصحيحة، ولهذا ذهب جمع من أهل العلم إلى أنهم كفار، والجمهور على أنهم ليسوا بكفار، لكن لا شك أن شرّهم مستطير.

ولذا جاءت النصوص صريحة واضحة في ذلك، فأصل الأصول في حفظ العقل من الضلالات هو التوحيد.

التوحيد هو رأس العلوم، وهو العلم الأكبر، وعليه تتفرع سائر العلوم الأخرى كما تقدم.

ثم بعد ذلك العناية بالنشء على هذا الأصل، بالتَّربية على هذا الأصل، بالتربية على التوحيد، من خلال الأسرة، وكذلك المحاضن التربوية في المدارس في المراحل الأولى وما يليها إلى المرحلة الجامعية عناية عظيمة، فعليها مسؤولية عظيمة في حفظ شباب المسلمين، وهم مسؤولون أمام الله في مناهج التعليم بأن تحفظ من الضلالات والبدع، ويحذر من أعداء الإسلام الذين يسعون إلى الإخلال -كما سيأتي الإشارة إليه إن شاء الله مختصرا-.

كـذلـك أيضـــا: تعزيز دور الهيئـات فلهـا أثر عظيم في حفظ أعراض المسـلمين، وعقائد المسـلمين من الخرافات والبدع والضـلالات، وكم نرى لهم من جهود مباركة، ورأينا في حفظ أهل الإســلام، وخاصــة الشــباب والفتيات من كثير من المغريات والضلالات والبدع والمنكرات.

وهذا كما لا يخفى مع ما يعضـــده من مراكز الدعوة وتوعية الجاليات، وهي -ولله الحمد- في بلادنا منتشرة وكثيرة من فضل الله علينا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونسأله المزيد من فضله.

فهذا لا شـــك دور عظيم مهم لهذا الرافد العظيم، وهذه الجهة، وهي جهات هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بل إنَّ الهيئات -كما لا يخفى- هي في أصــل الإســلام لها دور عظيم في كثير من أمور المسـلمين، في حفظهم، في دينهم، وأموالهم، وأعراضـهم، كما تقدم من سائر البدع وألوان الخرافات.





المحور السادس

أسباب الخلل في الفكر

❍ لا شك أن أسباب الخلل في الفكر تكون بعدم الحفاظ على أسباب الأمن في الفكر، وما كان ضد ذلك بالجهل والغلو، هذا هو الأصل، الجهل والغلو.

ولهذا جاءت نصوص صريحة للتَّحذير من ذلك، ووجوب التَّعلم والعلم إما واجب عيني، وإما واجب كفائي، وهناك علوم مستحبة، وهنالك علم يجب على كل مسلم أن يتعلمه، فهو ضد الجهل، العلم ضده الجهل.

فالمعنى: أن الجهل من أعظم أسباب الوقوع في هذه الانحرافات والضلالات، ولذا يدخل أعداء الإسلام، ومن يكون في بلاد المسلمين ممن يمكِّن لأعداء الإسلام من الدخول إلى عقول الناشئة، أو غيرهم ممن لم يتحصّن بالعلم.

ولذا يقول أبو علي الهمداني، كما ذكر ابن جوزي عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الخلل في أهل الإسلام من الداخل أشد منه من الخارج؛ لأن الذي في الداخل يفتح الباب للخارج».

وهذا مثل ما تقدم حفظ رأس مال المسلمين خير من الربح.

والمعنى: تحصين جبهة أهل الإسلام الداخلية بالعلم والإيمان والتفقه، بضد الجهل، وهو العلم، ونشر العلم، وأن يتصدّر العلماء والدعاة والجهات

الشرعية، وهي -ولله الحمد- في بلادنا كثيرة وممكَّن لها، ونسأل الله المزيد من فضله، وذلك بكثرة الدروس والندوات والملتقيات، وهذا أمر مشاهد.

ولهذا كلما كثرت هذه النَّشاطات كلما زاد الخير وقلّ الشر، وقد حدثني بعض إخواننا في بعض الجهات ممن لهم نشاط في الدعوة، وهم أيضا تحت مظلة وزارة الشؤون الإسلامية، يقول: كان لهم نشاط في الصيف، يقول: فحدثنا مدير مركز شرطة في نفس مكان الموقع الذي يعملون فيه، وكان يسأل ويقول: الجرائم تكثر عادة في أيام الصيف عندنا.

أصبح يسأل عنها، فاتصلوا به، وأصبح يسأل ما السبب؟

فبلغوه بنشاطهم بين الشباب، وأنهم يأخذونهم ويعلِّمونهم ويذكِّرونهم على طريقة أهل السنة بالأصول المتّبعة في هذه البلاد من المتون المعروفة، وكذلك أيضا ما يتبعها مما يحبه الشباب من الأمور المباحة.

فأخبرهم أنه استغرب هذا الشيء، وأن الجرائم التي كانت تقع نقصت بأكثر من سبعين في المائة إلى ثمانين في المائة.

وهذا مثل ما تشاهد أن الأمن في الإيمان، وأنه لا يمكن أن تنتزع من النفوس الإجرام ما لم تغسل ما فيها من الدَّرن، لكن لا شك أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، إنما سلوك سبيل الدعوة بالحكمة والرفق هذا أمر مطلوب، أما القوة فهي إلى السلطان، يضعها في مواضعها حينما لا ينفع العلاج بهذا فآخر الدواء الكي.

فعودا على بدء، وقبل أن أختم أقول: إن من أسباب الانحراف الجهل

والغلو، لا نقول التطرف، كما يكثر اليوم، لأن هذه كلمة تحتمل الحق وتحتمل الباطل، وهي مصطلح جديد، والقاعدة في المصطلحات التي تحتمل حقا وتحتمل باطلا أنها لا تستعمل.

وجاءت النُّصوص بالتعبير الواضح البيِّن الذي هو عين الحقيقة: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**»، كما في حديث ابن عباس عند أحمد والنَّسائي.

وكذلك التَّنطع كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**».

وكذلك أيضا التشدد: كما عند البخاري: «**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**».

وجاءت له ألفاظ.

هذه المصطلحات الشرعية، وهي عين الواقع ممن يقع منه هذا.

إذ مسألة التَّطرف، كونه في طرف، هذا ليس وصفا حقيقيا في الحقيقة، بل هو زور وبهتان يصفون به كثير منهم أهل الإسلام، عندنا وصف أشد وأعظم: مسألة التطرف، إذا أوقعته على أهله ليس مجرد تطرف.

قد يكون الإنسان تطرف مثلا في طرف أو في ناحية، هذه مصطلحات كانت مصطلحات لأهل الكفر، الذي أقصى اليمين، أقصى اليسار، يساري، علماني، يميني، [..] ووسط، وما أشبه ذلك من مصطلحات، أصلا روافد غربية لبَّسوا هذه، بدل أن يقول يساري، أو يميني، متطرف جهة اليمين، متطرف جهة الشمال.

مصطلحات وافدة على الإسلام، ولا تصف الحقيقة، لكن هذا إما جهل، وإما تلبيس، وهذا واقع كثيرا، والوصفان واقعان لكثير ممن يتكلم بهذا.

وإلا فالمصطلح الشرعي في هذا -كما تقدم- هو الغلو في الدين، كما وقع من الخوارج، **يعني:** يكون طرفي نقيض في هذا، يغلو ها هنا، أو هنا، إفراط أو تفريط.

وخير الطرق هذا النمط الأوسط؛ لا الغالي ولا الجافي، وهو السنة، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، الوسط هذه الأمة، هذا الوصف العظيم لهذه الأمة.

فأقول: إن هذه الأسباب، وهو الجهل وكذلك الغلو، وتحتها أسباب كثيرة، لكن أعداء الإسلام يدخلون من خلال هذه الأسباب.

❁ **وأختم بسبب من أشد الأسباب في الغلو والتَّطرف، وهو ما استغله أعداء الإسلام، أو من يتبعهم عبر كثير من القنوات الفضائية،** الذين تكون في قنواتهم أشياء مضلّة؛ من مشاهد، ومقاطع، وتحليلات، وسخرية واستهزاء بالدين، ونحو ذلك من تشويه الجهاد، وتشويه أهل العلم، وتحميلهم.

ثم أيضا لم يكتفوا، **يعني:** رمتني بداية وانسلّت، تجدهم زورا وبهتانا يحمِّلون أهل العلم والدعاة ما يقع من هذا الغلو والتطرف، مع أنهم هم أسبابه، هم الذين زرعوه، وغيرهم حصده ممن وقع فيه.

وأهل العلم في هذه البلاد، أهل العلم بجميع طبقاتهم، كبار العلماء، وسائر أهل العلم، والدعاة الناصحون في هذه البلاد وغيرها ممن يجتهدون

في بيان الدين، وبيان الحق، وهم ينصحون لهذه الدولة، وهم معها قلبا وقالبا في بيان الحق، وفي النصح لولاة الأمر، وأنهم معهم في دفع الشر والفساد.

ولهذا مثل هذه القنوات شر مستطير على أهل الإسلام، **يعني**: أقصد القنوات التي يظهر منها السم الظاهر، السم الزّعاف في التَّشويه والتضليل، بل يصرِّحون ويظهرون، ولا يكنّون، ولا يتسترون اليوم، ويعينون أعداء الإسلام اليوم، ولهذا لا نرى لهم كلاما لأعداء الإسلام الذين يقتلون أهل الإسلام من غلاة الرافضة، أعداء الإسلام، أعداء الدين، أعداء الملة، ملة أهل الإسلام، ولا من عاونهم ممن هو على طريقهم، لا ترى لهم كلاما حولهم، ولا يذكرونهم، بل عيبهم وثلبهم لأخيار هذه الأمة، ولا شك أن هذه مصيبة كبرى واقعة في الإسلام.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكفي أهل الإسلام شرّهم، وأن يكبتهم، وأن يُظهر الإسلام، وأن يعلي كلمته، وأن ينصر إخواننا المسلمين، وأن يظهرهم في جميع الأرض؛ في بلاد الشام، وفي بلاد العراق، وفي اليمن، وفي فلسطين، وفي كل بلاد المسلمين نسأله ذلك بمنِّه وكرمه.

أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ختاما أن يغفر لي ولكم، وأن يتقبل مني ومنكم، وأن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يسلك بنا مسلك الصالحين المقتدين على الصراط المستقيم، إن ربي على صراط مستقيم.

أسأله بمنِّه وكرمه ذلك.

أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين.

آمين، آمين، آمين.

كما أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يبارك في جهود المصلحين والدعاة، وجهود إخواني في هذا الجامع لهذه الملتقيات، وغيرها من الملتقيات النافعة، أسأله ذلك بمنِّه وكرمه، آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





الأسئلة:

سؤالٌ: **ما حكم السفر إلى بلاد الكفر من أجل الدراسة؟**

الجواب: العلماء ذكروا ثلاثة شروط للسفر إلى بلاد الكفار:

- أن يكون عنده علم يعصمه من الشبهات.
- وأن يكون عنده دين يحصِّنه من الشَّهوات.
- وأن يكون هناك حاجة للسفر.

والأدلة على هذا كثيرة.

سؤالٌ: **ما هي أفضل الكتب التي تتحدث عن السلف؟**

الجواب: إن كنت تريد التي تتحدث عن تراجم السلف، فهذه كتب كثيرة من أظهرها، أو من أشهرها كتاب «**سير أعلام النبلاء**» للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**تهذيب الكمال**» للمزي، وفروعه، وكذلك أصله «**الكمال**» لعبد الغني بنعبد الواحد المقدسي، وكذلك أيضا كتب أخرى كثيرة مصنفة في هذا، منها أيضا «**البداية والنهاية**» لابن كثير ترجم لكثير من علماء السلف، وكتب كثيرة مصنفة.

وإن أردت الكلام عن هديهم، فهذا موجود في كتب السنة، وكتب الحديث، فالأخبار متواترة في هذه الكتب.

سؤالٌ: **ما هي الكتب التي تنصحنا بقراءتها تتعلق بالتحرير عن الخوارج؟**

الجواب: نقول: الإنسان يحذر من كل البدع وأهل البدع والضلالات، أما الخوارج فحسبك أن تقرأ ما جاء عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيهم في كتب الصحيحين، والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوردهم في قسم المرتدين، وقيل إنه كان يرى كفرهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، على ظاهر الأخبار الواردة في هذا الباب، وقد صنف العلماء فيهم مصنفات، وفي بعض الكتب المتقدمة روايات فيها قد يكون الذي رواها ممن هو مهموز عليه أو مطعون في دينه، وقد تكون..

يعني: يحذر من بعض الكتب التي يكون مصنِّفها رافضيا، أو يكون مصنِّفها على بعض الطرق، أو البدع والضلالات، فيحذر من هذا.

مثل ما وقع مثلا في قصة مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما تقدم أيضا، هذه نسيت أن أشير إليها، وهي في الحقيقة مكر يهودي من عبد الله بن سبأ كما ثبت بإسناد صحيح عن عامر الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أخرجه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه «**أصول الأحكام**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك أيضا رواه غيره بسند من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي أنه ذكر عن الرافضة.

وذكر عن عبد الله بن سبأ أنه يهودي من يهود صنعاء، وأنه خطط وتمالى لقتل عثمان، وإن كان الخارجون في الأصل كما يظهر من التتبع والنظر في أسباب خروجهم أنهم نقموا عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في مسألة التأمير، وبعض الأموال، وإن كان ما ذكروه لم يتبين لهم، وأنه إنما كان ينفق من أمواله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على من ينفق، لأنه كان تاجرا، ما كان ينفقه على من كان حوله من

خاصته لم يكن من بيت مال المسلمين كما ذكر العلماء، وكان ذا مال عظيم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فاجتهد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في ذلك، فحاول أن يهدأ الأمر، والقصة طويلة.

لكن شاهد الأمر أن عبد الله بن سبأ وبعض من معه ممن قدموا من مصر، جاؤوا وأظهروا أنهم يريدون الحج، ثم قدموا المدينة وحصل ما حصل، والوقائع والشواهد في قصة مقتله تشير إلى أن بعض من وقع في قتله أنهم في أعداء الإسلام، ولهذا رويت روايات منكرة أن بعضهم رمى بالمصحف الذي كان معه، أما ما جاء من أنه شارك بعض الصحابة، كل هذا لم يثبت.

ما جاء أن عمرو بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي أنه شارك، كل هذا لم يثبت.

وما جاء عن محمد أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أيضا أنه شارك في قتله لم يصحّ، إنما هذا لبِّس عليه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فهذا يبيِّن لك أثر التلبيس، انخدع رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في بادئ الأمر، ثم لما رأى عثمان، وأشار إليه وقال إنك تقدم على رجل وكان يمس لحيته، ولحيته كان يكرمها أبوك، وهو أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فعند ذلك انكشف الغطاء عن [..]، فرجع، ثم أخذ السيف يريد أن يقاتل عنه، مع أنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من صغار الصحابة، بل لم يبلغ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، بل دون التمييز لما مات النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، لأنه ولد في الشجرة في ذي الحليفة في آخر ذي القعدة.

فالمقصود أنه -كما تقدم- يُحذر من الكتب التي يكون فيها شيء من هذا التلبيس، وهذا وقع في قصة مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

سؤالٌ: كيف نعامل الشخص الذي عنده صفة من صفات الخوارج؟

الجواب: كلمة صفة من صفات الخوارج هذه ينظر، لأنه ربما بعض الناس يقول: فلان خارجي، وليس بخارجي.

قد يكون مثلا عنده شيء من الجهل، وعنده شيء من التأويل، ربما يقع على بعض الآيات، لكنه هو في الأصل لا يكفِّر بالكبيرة، أو..

إنما ربما عنده شيء من الجهل في التأويل، هذا يعلَّم ويبيَّن له البيان الواضح، ولا يشدَّد عليه، وينظر الطريق الأسلم، فلكل حالة واقعها، وليس هذه تشبه هذه.

سؤالٌ: كيف يبني طالب العلم المحكمات ليرد المشتبهات؟

الجواب: نعلم أن الأصل هو الإحكام، والقرآن محكم ومتشابه، فهو متشابه **بمعنى:** يشبه بعضه بعضا، أنه ما ذكر في هذا هو ذكر في هذا، ولا يفسَّر القرآن بالقرآن، وفيه المحكم وهذا هو الأصل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء: ١٧].

فهو الحكيم، وله الحكمة، والقرآن محكم، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

ثم هذا القرآن أيضا زاده تفصيل في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فبين النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ البيان المبين.

واختلف العلماء هل هو تشابه مطلق أو تشابه نسبي؟

على خلاف، لكن ما اشتبه يردُّ إلى أهل العلم.

سؤالٌ: **وقفة مع حديث الدجال وكيف انخدع الناس، مع وضوح باطنه؟**

الجواب: حديث الدجال ثابت، والأخبار فيه متواترة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الله بيّن عيبه، وأظهر عيبه، وأنه مكتوب بين عينه كافر.

لكن ربما يغتر بعض الناس بما يكون عنده من الأمور التي هي خارقة للعادة، فتعمى بصيرتهم عن تلك المشاهد الحسية منه، مع قلة البصيرة والعلم، فسبب الخداع به هو قلة البصيرة والعلم، ولذا تقدم أن الجهل داء، الجهل داء خطير، ولهذا خاصة في مثل هذا الوقت، يجب علينا أن نتعلم، يجب التعلم، ولما كثرت هذه الوسائل، وهي إما أنها سبب إلى الشر والفساد والجهل العظيم، أو سبب إلى العلم والبصيرة والنُّور.

ألقيت هذه المحاضرة يوم السبت

بعد صلاة العشاء

السَّادس والعشرون من صفر

سَنَةَ ثمانٍ وثلاثين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بجامع عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حي الوادي بالرياض.

